صندوق البريد

الشعر والمصير العربي ...

عزيزي رئيس التحرير

تثب لذهني وانا اكتب اليك بعد قراءتي افتتاحيتك رداً على رسالتي ، عبارة هيجل : « تبدأ المعرفة حين تهدم الفلسفة تجربة الحياة اليومية ... » وتطفح فيه ايضاً كلمات كيركجرد : « اذا امسك الله بيده اليمنى بالحقيقة ، وامسك بيده اليسرى بالتشوق اليقظ للحقيقة ، وهو يسألني ان اختار ، ويكون في السؤال تلميح الى انني اذا اخترت ما في اليد اليسرى ساتعرض لان اخطيء ابداً ، فلسوف اضع يدي على ما في يده اليسرى واقول : امنحني هذا يا ابي ، فالحقيقة المجردة لك وحدك » .

تتدافع لذهني هاتان الفكرتان معاً وان كانتا لمفكرين وقف كل منهما امام المطلق والمفرد ، امام الازل ، امام المعرفة ، امام الانسان ، امام التاريخ ، امام قلق المصير، موقفاً مناقضاً لموقف الآخر . ذلك ان الاثنين مهما تناقضا ، يزودانني معاً بنقطتي ابتداء لما نحن مختلفان عليه تحرراننا من الكثير من المبتذل من القول او التقول ومن السطحي من الفكر او التفكر ، نقطتي ابتداء تمكنانني من محاولة تصور حقائق الامور، لا ونحن عبدا الحرفة سواء اكانت صحافية او دبلوماسية او قصصية او شعرية ، بل ونحن سيداها ، ننظر اليها من خلال الحقيقة ، لا الى الحقيقة من خلالها ، ونفعل هذا ونحن واعيان مع كيركجرد ان الخطأ قد يكون هو نصيبنا الالزم هنا ، بدون ان يوهن هذا لحظة واحدة من عزمنا على نشدان المعرفة المتجردة عن اي خطأ .

اذا تيسر لك اعتماد نقطتي الابتداء اللتين اخترتهما من أبوين من آباء الفكر الحديث بل من آباءالثورة الفكرية الحديثة، هان عليك امر انتقادي لمعدد الشعر بعض الشيء ، وظهر لك العدد كواحد من الف من الآثار الانتاجية المتوقعة منك وظهر لك اثراً قابلاً للنقد من حيث المبدأ والصورة بل غير مثبت اهليته للحياة الا بقابليته للنقدين معاً ، والا فأي عمل ادبي هو ذلك العمل « التابو » الذي يغضب منتجه لنقد فكرته او صورته ؟

اؤكد لك يا اخي ان ما كتبته ليس ناشئاًعن تأثير احترافي للدبلوماسية اذ ان حرفتي الذاتية كانت وما تزال نشدان الحقيقة ، وليس ناشئاً عن اعتقادي بان من حق الاجانب ان يقرروا مصير بلادنا او شعبنا ، فانا هنا جندي في الخط الاول ضد هذا وليس ناشئاً عن بغضي للشعر ، وليس ناشئاً عن اهمالي لقراءة « الآداب » ، فانا في اميركا ، اتلقى « الآداب » بالطائرة لاقرأهافور ورودها وأقرئها الاخرين،وليس ناشئاً عن انقطاعي الطويل عن لبنان والعالم العربي ، فانا اعيش هنا كل لحظة من لحظات حياتي الواعية واللاوعية لهباً عربياً، ولكن النقد ناشيء عن اعتقادي بان الالتزام الفكري الذي التزمتم به هو التزام المفكر بخلق الوجود خلقاً جديداً ، الوجود من حيث هو وجود ، ومن حيث هو وجود انساني ، ومن حيث هو وجود قومي . ومعنى هذا ان تكون عملية الخلق هذه «عملية كلية» لا « عملية شعرية » . ومعنى كونها كلية ان تكون فكرية كيانية وان يكون من مقاصدها الرئيسية تناول حركة الزمن في جميع تشكلاتها الخلاقة الماضية والحاضرة والاتية وفي قوة اندفاعها نحوصيرورةافضل لنا وللانسان حيثما كان من الوجود . ومتى ينصب الفكر على رصد مثل هذه الحركة ان لم يفعل ذلك في مثل هذا الظرف المصيري الحاسم الذي نجتازه الان ؟ اعود بك الان لهيجل لتوضيح لا لتعقيد ما اقصد وان كان هو اقرب في كتابته الى « الرمزية العقلية » منه الى الوضوح الديكارتي . يقول في احد كتبه : « ان الحقيقة تعني صورة للوجود كما تعني صورة للمعرفة » . ثم يقول : « ان جميع صور الكينونة هي نماذج حركية ...» صور الكينونة العربية في نماذجها الحركية او في حركتها الصيرورية الشاملة هي الموضوع الالزم للكاتب العربي ان شاء ان يكون ملتزماً « التزاما كليا » تجاه مواطنيه العرب كما توده انت ان يكون ، ورؤى الشاعر كثيراً ماتكون اكثر كلية او شمولا من تصورات المفكر وان من هذه الرؤى ما يخلقنا خلقاً جديداً . ولكن انسحارنا بالشعر كان حتى الان فتنة لنا وكان صارفاً لنا عن الانصباب الاعمق على انتاج العقل الخلاق تصوراً ومنهجاً وفعلاً . ومن دلائل هذه الفتنة اصدار الآداب لعدد عن الشعر في ظرف نحن احوج ما نكون فيه لعدد عن « الكينونة العربية » او « الصيرورة العربية » . ان عدداً من الاداب عن كينونة وصيرورة العرب هو الان الزم لنا من عدد عن « كينونة » او « صيرورة » الشعر العربي .

ان اخراجك لعدد عن الشعر هو بدون ريب محاولة لاخراج الشعر العربي من صوره الحالية لصور افضل منها ، وهذا جزء من عملية اخراج الوجود العربي كله مما هو فيه نحو ما هو افضل ، ولكن « العملية الكلية» للاخراج تحتاج الى من ينصب عليها ، عملية تحويل كل ما هو ممكن بالقوة لممكن بالفعل ؛ ومن لاثارة الوعي الكلي بهذه العملية غير الفكر الملتزم ؟ واثب بك الآن وثبة من هيجل لنيتشه لتحسه يعصف بك وبي : « الناس الذين نحيا معهم هم اشبه ما يكونون بحقل ركام .. وكل شيء يصرخ بنا : تعالوا ... ساعدوا ... كملوا ... لاننا نصبو بتشوق لانتهائي لان نصير « كلا » ... نعم ان الركام الذي نحياه وتحياه امتنا اليوم يصرخ بنا ان نصيره « كلا » روحيا عضوياً يزخر بالحياة ، وينبض بالحركة ويتكامل بالخلق المتواصل ، فهل نحقق هذا بالشعر وباعداد عن الشعر ، او بتعبئة وجودية للعبقرية بكليتها ؟

واشنطن «ح . ص»

الى السيدة ندى كيالي

عندما قرأت ملاحظاتك وتحليلك الذكي لقصيدتي « الى اجيرة » التي سقتها في العدد الماضي من « الآداب » قلتُ : .. يا الله .. امرأة سليمة الاحساس الفني استطاعت ان تتسرب الى الزوايا التي تحيا وراء حدود الحرف.. لتقبض على المشكلة بيدها .. بينما فشل العالقة – على عرض شهرتهم وقدسية اسمائهم – في تلمس مفاتيح القضية الكبيرة الخبيئة وراء رشات الحبر .. هنا .. وهناك ..

لا غرابة .. فالقضية يشعر بها الطرف المظلوم اكثر من الطرف الظالم. تشعر بها الانثى التي لا تزال رواسب النظم الحجرية من قبل عهد وأد البنات .. ترى فيها سلعة تقيم بالدراهم .. والنوق .. واكياس الحنطة .. وتنتقل من بيت ابيها الى بيت زوجها بأمر عسكري رقم١ مع الصناديق .. والمناضد .. والسجاد التبريزي ..

وليست قليلة في شرقنا العقول التي لا تزال تؤمن حتى اليوم بنظام (الاستملاك) فيما له صلة بعلاقة المرأة والرجل. وظروف الحرب الاخيرة التي ركزت الثروات في يد الاقلية المغامرة من الافراد أرتنا كيف تموت سيادة الجمال .. أمام سيادة المال .. وكيف فقدت بعض الاسر وبعض النساء حس المقاومة تحت انهار الذهب والديباج .. ضاربة بعرض الحائط اي قيمة ذهنية أو شعورية يتحلى بها الرجل حبيباً كان .. ام خاطباً ..

المشكلة اذن موجودة في اكثر من بيت شرقي واحد .. وتعامينا عنها لا يعني عدم وجودها . والفن حين يعرض لهذه المشكلة يعرض لها بوسائله الخاصة ويعالجها من وراء الستار باللفظة الموحية والايماءة السريعة والنغم المسفوح ،وبتعبير آخر ان وظيفة الفن ان يلفت النظر الى المشكلة..لا ان

يجد حلولها كما يقدم عالم الرياضيات مسائله مع جدول الحلول وكما يلقي الواعظ خطبته ، ورجل السياسة بيانه الانتخابي ..

هذا لا يحدث في الفن ابداً . والاسلوب التقريري الخطابي التعليمي... اسلوب المقدمات .. والنتائج .. والمقولات . مادة لا تصلح لاي بناء فني. لان الفن لا يهتم بالمواد الميتة ..

الفن يشعل عود الثقاب .. وينصرف .. وعلى الضوء ان يلد ضوءاً .. وعلى المشكلة أن تعيش وجوداً جديداً في ذهن القارىء ..

وحسب « الى اجيرة» انها استطاعت ان تثير عند من قرأوها عواطف تتراوح بين الاسف .. والحقد .. والرحمة .. والقسوة .. يعني ان تنقل التجربة المرة .. المؤسفة .. الخارقة من الحياة كما هي.. مرة .. مؤسفة.. خارقة .. الى نفس المتذوق .

ولا داعي في رأيي لإنزال اللعنة على رأس الرجل الذي اشترى .. او المرأة التي باعت .. لأن كلاً منهما ضحية لنظام اجتماعي نخر يقبل بهذا التعامل ويدوس فيه اصحاب « القطع النادر » صاحبات الجمال النادر ..

هذا هو تفصيل القصة ايتها السيدة ندى، لم اكتبه لك.. وانما كتبته للعالقة... الكبار .. الكبار الذين سقطوا من أعلى سلم النقد الى (اوضع) درجة فيه حيث تصبح الشتيمة لوناً من الوان النقد .. وتتساوى لغة الكاتب ولغة المظاهرات ..

مع شكري واطيب تمنياتي .

لندن — **نزار قباني**

« شرف الثقافة » و « الفردية » و « الرومانسية »

قال الاستاذ انور المعداوي في « زوايا ولقطات » في عدد « الآداب» الماضي :

« ان الالتزام الذي نريده والذي دعوت اليه وشرحت اكثر من مرة اهدافه ومراميه ، هو في الادب ذلك المضمون الاجتماعي الذي لا يتنكر لشرف الثقافة . »

ما الذي يقصد اليه الاستاذ بعبارة « شرف الثقافة » ، وكيف يتنكر المضمون الاجتماعي او لا يتنكر لهذا الشرف ؟ بل ما معنى « الثقافة » في هذا الصدد ؟ وما الرابط الجديد الذي اكتشفه الكاتب بين المضمون الاجتماعي والثقافة ؟ هل يعدّ الاستاذ المعداوي الاطلاع — مثلاً — على الآثار القديمة ودراستها ثقافة ام لا ؟ فكيف يتنكر «المضمون الاجتماعي» « لشرف » علم الآثار ؟

ثم انظر الى هذه المنبرية الطلابية التي لا تدل إلا على تضخيم لذات لست ادري باي حق يفرضها الكاتب علينا ، « ان الالتزام الذي نريده والذي دعوت اليه .. » من سمع او قرأ في تاريخ الادب عن ناقد خلق الادب الذي يتفق واهواءه ؟ ن الخلاقين هم الذين يبتكرون ويوجدون الاتجاهات الجديدة عن طريق ما يبتكرون. اما النقاد فيعالجون ما قد كتب ووضع ويستنبطون منه القيم والمقاييس ، لأن القيم والمقاييس القبلية لن تبقى إلا مبهمات عائمة في فراغ .

« ... ادب واقعي متكامل ، وادب فردي ضيق . » عبارة اخرى اذا شددتها بيديك وتأملت في رسمها وحبرها، وجدتها زائفة، رغم انتشارها. فانت تستطيع بمثل هذه السهولة ان تقول : « ادب واقعي ضيق وادب فردي متكامل » ، فاذا استفدنا او خسرنا ؟ المقابلة هنا بالطبع بين « ادب الواقع والادب الفردي » ، ولكن منطوى عبارة الاستاذ المعداوي هو ان الادب الفردي لا يستطيع ان يكون واقعياً ، وان الادب الواقعي لا يستطيع ان يكون فردياً . خلط عجيب ! انستطيع ان نقول ان « مدام بوفاري » (خير مثال على الرواية الواقعية) لا تدل على فردية فلوبير المفرطة ؟ ان قلنا ذلك فلا نحن نعرف فلوبير ولا نحن نعرف « إما بوفاري » . ان الادب كله ، الواقعي منه وغير الواقعي ، ليس إلا من خلق فردية مفرطة وانانية عميقة الاغوار .

وبعد هذا خذ كلمة « الرومانسية » التي يذرذرها الاستاذ هنا وهناك دون ضبط ولا دقة . فهو اولاً يقول « الرومانسية او الابتداعية » ، وانا حين ارى اديباً يستعمل كلمة « الابتداعية » مرادفة للرومانسية ، اعرف في الحال مدى إطلاعه على تاريخ الادب . « فالابتداعية » كلمة ابتدعها الاستاذ احمد حسن الزيات، ظناً منه ان الرومانسية هي كل مبتدع جديد ، في حين ان الكلاسيكية هي « اتباعية » — او اتباع القدامى . وغاب عنه ، ان المسألة ليست مسألة اتباع او ابتداع، بل مسألة اسلوب في المعالجة، وللاسلوب نواح كثيرة من المستحيل أن تفي بها هاتان اللفظتان ، في حين ان كلمتي « رومانسي » و « كلاسيكي » وسيلتان للتعبير عن منطويات كثيرة اتفق عليها ادباء الغرب، ولايمكن استبدالها بأي لفظتين اخريين. فلماذا يستعمل الاديب لفظة « الرومانسية » اذا لم يكن واثقاً من تفرعات مدلولها في الادب الغربي ؟ وبسبب عدم تأكده من هذا المدلول ، يتورط في سؤال كهذا : « ما هي المضامين الثورية للرومانسية ..؟ » بينما لم تكن الرومانسية في القرن التاسع عشر لاتجاهاً ثورياً ارتبط بالثورات السياسية كما ارتبط بالثورات الفكرية ، وحتى جذور الثورة العربية نمت في تربة الرومانسية في اواخر القرن الماضي .

اما الامثلة التي يوردها الاستاذ على القصة الرومانسية ، فهي امثلة مضللة . لان « آلام فرتر » و « رفائيل » ، ليسا مثلين يضربان على الرومانسية في انصع اشكالها . فالاستاذ ولا شك يخلط بين الميوعة العاطفية Sentimentality التي اتصفت بها بعض كتابات القرن الماضي وبين الرومانسية نفسها . لماذا لا يذكر « فاوست » لغوتيه بدلا من « فرتر » ! وما الذي فهمه صديقنا من « تشايلد هارلد » لبايرون ، حتى حشره في زمرة « القصص » — وليس ذلك فحسب ، بل حشره في زمرة القصص البائعة ؟ ان لم يكن بايرون من امثلة الثورة في وجه الطغيان الاجتماعي والسياسي بكتاباته وحياته ، فمن يكون ؟

وامتداداً لهذا الخلط يشبه الاستاذ « المنفلوطي » بالرومانسيين ، لانه يقرن بالرومانسية الميوعة والعبرات . في حين ان هذا الضرب من الميوعة التي يتصف بها ادب المنفلوطي ، متصل بناحية من اضعف نواحي ادب القرن التاسع عشر ، ولا سيما في نصفه الثاني ، لا علاقة لها الا من بعيد بالرومانسية. انه الادب الذي يمكننا ان نسميه ادب الخادمات .وليس داؤه « الذات المغلقة » التي يذكرها الاستاذ ، بل الطين العاطفي الذي يطيّننا به الكاتب عند كل خطوة الى درجة الضيق .

أرجو أن يرى الاستاذ أن ما اهدف اليه من هذه الكلمة هو ضرورة توخي الدقة في استعمال الالفاظ النقدية او ابتكارها . تلك حاجة لا يمكن التغاضي عنها .

بغداد — **جبرا ابراهيم جبرا**